

لان اعصابها اضعف من اعصاب الرجل وبهذا اوجدوا لها ما ينطبق على قدر
احتمالها وانصفوها بترك الحرية لها في هذا الشأن كما تركوه في التعليم
واللبس وشيء كثير

الا انه من غريب ما يذكر عن النساء انه مع شدة شبع التدخين
بينهن لم يشاهد لاث امرأة واحدة بين ملايين وهي تدخن بالانبوب
(الشبق) مع ان كثيرات منهن يدخن التنباك بالنارجيلة وهي شبيهة
بالانبوب ولكن الارجح ان السبب في ذلك هو ان المرأة يهملها اللهو بجمالها
اكثر من اللهو بالتدخين فهي ترى حملها الانبوب سائراً شيئاً من جمال
وجهها او مقتضياً حملها قراباً له وكيساً لتبغته وهو مما يسلب شيئاً من خفتها
واطفها فاكثفت بالسيكارة تصنع لها رقيقة لطيفة الحجم منطبقة على قدر
تلك الشفاء الرقيقة القرمزية وبذلك يبقى جمالها وقد يزيد احياناً منظر تلك
السيكارة بين يديها اللطيفتين وهي كالملاك ساج بين الدخان المتصاعد في
سحاب شفاف رقيق



رواية

دينار (١)

او عبرة طبية

بقلم

حضرة الكاتب الاديب حنا افندي صاوه

دقت ساعات الاسكندرية اثني عشرة دقة مؤذنة بان ليل ١٣ اغسطس
سنة ١٩٠٦ قد تناصف

وكان السكون شاملاً والهواء يهب رطباً والجو صافياً والبدر يتلأأ
في كبد السماء ونوره يفيض على المعمور والكواكب تزين عرش الخالق
يراها الناظر سابحة ما دام الظلام مخيماً على الكائنات
وكانت احدى النوافذ المظلة على شارع العطارين مفتوحة ويلوح منها
رأس فتاة في مستقبل العمر معتمدة هذا الرأس باحد ساعديها وهي تأهتة في
لجة من الافكار

وكانت تنهض بين حين واخر وتطل من النافذة فتنعكس اشعة القمر
على وجه مورد ذي عينين لامعتين وجبهة عريضة كالعاج متدل اليها شعر
اشقر ذهبي يزيد النور الفضي جمالا على جمال

(١) وهي رواية اهم ما جاء فيها وانعي وقد غيرنا الاسماء احتراماً للعواطف

وكانت تجيل انظارها في الشارع فتجد انه مقفر فتزفر زفرة فروع
قد شغلت مكانه الا لام ثم تعود الى مكانها وهي تقول كيف تأخر حتى الان
وطرق سمعها فجأة صفير يكاد لا يسمع فاندفعت نحو النافذة واطالت
منها ثم قالت وابسامة الفرح تظهر اسناناً كاللؤلؤ لماذا تأخرت يا روفائيل
قال عفواً أرجو منك يا لوزا فاني تلاقيت مع صديقي البرتو فالفيت انه
حزين فاستفسرته السبب فابلغني ان والدته تجمض وانه ذاهب لاستدعاء
طبيب فرأيت من الواجب مرافقته قالت واين هو فاني معجبة بحسن
خصاله اجاب لقد غادرته يقرع باب الطبيب اكيلوبولو واتيت اليك مسرعاً
لاني عالم بان تأخري يقلقك قالت او آتيت بما وعدتني به قال وهل شككت
في ذلك اجابت كلا ولكنك تعلم بشدة حيي لك فاريد مطالبتك بعهدك
قال حسن فادلي لي حبلاً فذهبت ثم عادت واقلت اليه بحبل رفيع من
الحرير الارق فتناول طرفه ثم عقده وما هم بان يشد العقدة على ضمة من
الزنبق كانت في يسراه حتى افلتت من يده وصاح صيحة عظيمة اذ انه
وصل الى اذنيه دوي طلقين نارين متوالين مزقاً محياً ذلك السكون الشامل
ولاحين صاحت جوزفين مذعورة وقالت ما هذا يا روفائيل قال ان
هناك جريمة ارتكبت وانت قاي يدلي على حلول مصاب قالت اذهب
واستقص ثم عد وافدني قال اهكذا تتييني عنك قالت اجل فقد لاح لي ان
الطلقين صدرا عن منزل الطبيب قال ويلاه والله رنض الذهاب مع البرتو
فاستياأس فقتله قالت ربما فاذهب اذن ولا تتأخر في المجيء قال انك لاجل
من العادة يا جوزفين وانت تلحين علي في الذهاب فليت الحبلى متين
فكنت تسلقته ووضعت على جبهتك قبلة الاخلاص قالت يالك من متباطئ

يقيده التشديد ويفكر في تقبيلي حين الحاجة الى ابتعاده قال انك لحقة
يا جوزفين ولكن اذكرني اني ساستعريض اضعاف ما فاتني الان فابتسمت
اعتزازاً بشديد محبته وقالت وقد وضعت املين على شفيتها حسن وها انا
مرسلة اليك قبلة عربوناً لعهد قبولي بما ذكرت

فابتعد التي جذلان مغادراً ضمة الزنبق على الارض تاركا جوزفين
ترفع الحبلى حتى اذا وصل الى باب الطبيب الخارجي وجد شرطياً واقفاً به
وكانت نوافذ المنازل قد انفتحت واطل منها ساكنوها والشارع قد غص
بمن سمعوا دوي الطلقين فطارت نفس روفائيل شعاعاً حذراً من ان يكون
البرتو قد اصيب بشيء ثم هم بان يندفع داخلاً فمنعه الشرطي وللوقت سمع
القريبون من الباب صوت وقع خطوات على درج المنزل فوجهوا انظارهم
اليه ثم لم يلبثوا حتى لاح لهم فتى في السادسة عشرة من عمره تدل ملامحه
على العزم وتشير عيناه غير المستقرتين الى انه في اشد تهيج وكان في يده
غدارة

وكان ينزل الدرج بقدم ثابتة ورأس مرفوع ثم دنا من الشرطي وقال
من تطلب اجاب جانباً اطلق عيارين نارين على اخر وربما قتله قال انت
الجانبي انما هو انا والجانبي عليه ملق على الارض يتخبط بدمائه وانني ادعى
البرتو وها هي الغدارة التي اطلقتها فانا اسلمها اليك كما اسلم نفسي فخرجت
من صدر روفائيل انه محرقة استلقت البرتو وللوقت صاح صيحة شديدة
وقال أنت يا روفائيل اجاب نعم يا صديقي فماذا حدث قال ليس لدي وقت
للافصاح ففمداً تقف على الحادثة من الصحف ثم تفرقت دمعتان في عينيه
وعطف يقول والان فعندي رجاء ابسطه اليك وهو انك تذهب الى والدي

وأسر إليه ما سمعت ثم تلح عليه في البحث عن طبيب يخلص والدتي من عذابات عبثاً حاولت خلاصها منها ولعلها تذهب بحياتها

ثم ذهب البرتو مع الشرطي فاشنى روفائيل راجعاً نحو جوزفين وكانت بوادر الحزن بادية على ملامحه فقلقه قائلة ما الخبر يا روفائيل اجاب لقد صدق ظني يا جوزفين فالبرتو اطلق الطلقين على الطبيب واطن ان لاشفاء له وقد كلفني صديقي بمهمة تضطرنني الى مغادرتك كي اتمها قالت مسكين البرتو فقد حزنت على ما وقع له واني موقنة انه لم يطلق النار على الطبيب الا مرغماً قال وهذا هو ظني يا جوزفين فالى الملتقى يا محبوبتي البديعة قالت الى الملتقى يا روفائيل وتأكد حي لك واني اتنى ان يكون هناك ما فيه تخفيف عقوبة صديقك . ثم تفرق المجتمعون واخذت النوافذ التي انفتحت تغلق الواحدة بعد الاخرى وانوار مصابيح المنازل تنطفئ شيئاً فشيئاً حتى ساد السكون

بيد ان هناك نوراً ظل منبعثاً وقد كان صادراً عن غرفة نقلوا اليها الطبيب

ولوقت دنت منه امرأة في جمال الصبا وزهرة العمر وكانت باهتة الوجهه دامعة الطرف ويديها طفلان تلوح عليهما ملامح الذهول فحشت بجانب رأس المصاب ثم اشارت الى الطفلين ان يركعا في جانبه وقالت لهما هذا ابوكما وقد امسى بالدماء مخضباً وسيعجز الطب عن خلاصه فصليا لاجله واطلبا الى الله ان لا يتخلى عنا لاني سأصبح ارملة وستضحيان يتييمين

* *

هناك في عطفة من عطفات الشارع المؤدي من محطة مصر الى حي

محرم بك يوجد منزل بسيط المنظر وكانت انوار مصابيحها تنقل من مكان الى مكان آخر كأن من فيه كانوا في اضطراب ما بعده اضطراب

وكانت الساعة اذ ذاك الحادية عشرة ليلاً

وللحين صدرت عن هذا المنزل صيحات مزعجة ولاح شبح امرأة مسندة الى ذراع رجل وغلام وهي ممتعة الوجه خائرة القوى . وكانت هذه المرأة حبلى وقد شعرت باجهاض مؤلم مقرون بنزف دماء شديد اصبحت حياتها معه في اشد خطر

وكان الرجل حائراً والغلام متوجعاً وكلاهما يخفان الآم تلك الخليقة الضعيفة التي هي قرينة الاول وام الثاني

غير انها ما لبثتا حتى رأيا ان الحالة تزداد خطورة فقال الوالد للولد اذهب في الحال يا البرتو واستدع طبيباً كي يخلص امك فاندفع الغلام خارجاً وصياح من خصته بحنانها يدوي في اذنيه فيزيده اسراعاً والامها متمثلة امام عينيه فتضاعف عزمته مضاعفة ثم طرق ابواب ثمانية من الاطباء طالباً اليهم مرافقته عارضاً عليهم بغيته مبيناً لهم ما صارت اليه حالة امه فامتنعوا تحت حجج مختلفة فبلغ منه القنوط مبلغاً عظيماً وادرك ان والدته مفقودة لا محالة بيد انه كثيراً ما تكون شدة اليأس داعية الى الافتكار في ما يفيد كما ينذر قصف الرعود بقرب نزول المطر على ارض مجربة قتر وريها رياً فاتجه نحو طبيب تاسع يقوده امل تولد به ورجاء خال انه سيجاب فتلاقى مع روفائيل وكان هذا على موعد مع جوزفين فروى له حادثه فاستعظمها ثم سأله وجهته فاجابه انه قاصد للطبيب اكيلوبولو لعله يجد تلبية لديه فسار

واياه حتى اذا وصلا الى منزل هذا الطبيب صعد البرتو اليه واتجه روفائيل نحو جوزفين كما مر

وكان في الدور العلوي من منزل الطبيب اجتماع حافل والكل مصغ الى نعمات شجية صادرة عن آلة في يد فتاة تحاكي الورد جمالا والياسمين بياضاً وكان الطبيب واسرته من جملة المدعوين فدعي لمقابلة فتانا فنزل منثاقلا ثم سأله عن داعي محيئه فاجابه ان امي تجهض ايها الطبيب وقد تركتها والموت ينازعها فارجو منك مرافقتي بغية خلاصها قال الم تذهب الى طبيب غيري قال لقد قصدت ثمانية ولكنهم ابوا المجيء قال كم الساعة الآن قال ان الليل قد تناصف قال أحضرت اجرة عيادتي معك قال وكم تطلب ياسيدي اجاب ديناراً قال انت هذا المبالغ ليس معي ولكنني اتعهد لك بدفعه قبل ولوجك الدار قال بل انا لا انتقل من مكاني الا اذا استلمته الان استلاماً فانبعث من عيني الشاب شعاع ناري وقال ولكن والدتي تموت ايها الطبيب قال وانا محتاج الى الراحة او المال قال اتضحني امي على مذبح كليهما اجاب لا توضحية في الامر ما دمت طبيباً والطبيب غير مقيّد بان يلي كل نداء قال بل هو مقيّد ياسيدي وان هذا التقييد منحصر في لفظ الانسانية التي يراعها كل ذي شعائر حية فانا ادعوك اذن ان تأتي معي باسم هذه الانسانية فبرز كتفيه وقال لا تشدد في ذلك فجيشي متوقف على الدينار فظهرت دمعان في عينيه وقال هل تعلم ان توقفك ربما يجعلني يتيماً قال هذا غلو منك ولماذا لا تبحث عن طبيب اخر اذا كان شرطي لم يرق لك فصاح محتدماً لقد قلت لك اني قصدت ثمانية وارى انك التاسع الذي يرفض فكأنك العناية الالهية ابت الا ان تتخلي عن امي فحذار ايها الطبيب قال وممن ايها

الغلام اجاب انني اري ان حب الطمع متمكن منك وهذا ما يدل على الشؤم والوقت وصل اليهما صوت نغم جميل يهز القواد مشفوع بغناء يذهب بالنفس الى عالم الخيال فهم الطبيب بان يفصل عن الغلام فصاح هذا وقد مر في ذهنه خاطر كالبرق لقد حذرت فخدق اليه الطبيب وقال ماذا قال انك تأبى المجيء معي حتى لا تفوتك هذه الافراح الوقتية ولكنني ساحرمك منها انا قال او تجسر على ذلك قال نعم فساعدي شديد ومجرد تصوري ان امي تموت يقضي ما لدي من الرشد قال ماذا تريد ان تقول فصاح انت طبيباً مثلك يتأخر عن خلاص نفس مشرفة على الموت من اجل مسرة ساعة وبالرغم عن ان هذا الخلاص في استطاعته انما هو عضو مثقل الهيئة الاجتماعية فينتحتم بثره منها قال المجنون انت قال ولكن اوجاع امي تمزق قوادى ومرآي اياك معرضاً عن اجابة سؤاله يولد بي اعظم يأس قال وانا اريد ان اتحاشى نتائج هذا اليأس فالوداع اذن فتبرقع وجهه باشد اصفرار ثم قال بصوت ابح اذهب انت فلاحت ابتسامة الاستخفاف على وجه الطبيب واتجه نحو السلم يتغني صعودها فصاح وقد رسمت الخيبة على وجهه آية مخيفة أمصم انت على اهل رجائي فصعد الدرجة الاولى بدون ان يحبيه بكلمة فتذكر حينئذ والدته وانها ستموت وهي تتألم فصاح صيحة مخيفة وقال التفت ! التفت الى ايها الطبيب فاني لا اضرب من الوراثة ثم اخرج مسدساً صوبه الى الطبيب الذي لم يلتفت ثم اطلقه مرتين فصاح الطبيب صيحة مزعجة وسقط يتخبط بدمائه الى الارض فدنا البرتو منه وقال متمماً اعلي اكون قاسياً ولكن ضميري يستريح لما فعلت

وذهب روفائيل وقابل والد البرتو ثم بلغ اليه ارادة ولده وكان خبر
الفاجمة قد تنوّل في منازل الاطباء فذهب اثنان منها للاعتناء بالمجھضة واهتم
الياقون بالمصاب بعد ان نقلوه الى مستشفى ولكن اهتمامهم لم يفد شيئاً. وما
دقت الساعة الثالثة بعد نصف الليل حتى اخذ الطبيب ينزع

* *

انحرفت شمس يوم ٤ اغسطس نحو المغرب ايذاناً بان النهار اخذ ينصرم
ثم دقت الساعة الخامسة فاحتشد جمع غفير امام منزل الطبيب وكانوا قد
نقلوا اليه جثته وكان امام مدخل المنزل عربة موشحة بالسواد ذات جوادين
لا يبديان حركة وكانت الجموع صامئة تلوح على ملامحها آيات الاشفاق
والحزن واعينها موجهة الى ذلك المدخل ثم لم يمض قليل حتى نزلوا بتابوت
يحوي جثة الطبيب ووضعوها في العربة فانكشفت الرؤوس باحترام وخشوع
ثم تحركت العربة وسارت تشيعها عيون المئات من الانفس حتى وصلوا
الى المقبرة حيث نقلوا التابوت الى حفرة هي نصيب الآدمي في هذه
الحياة الدنيا

* *

حدث في اليوم الثالث لهذه الحوادث ان خرج كل من روفائيل
وجوزفين من احد المعابد وكانت الفتاة متكئة على ذراع الشاب وهو يرنو
اليها بنظر طافح بالمحبة المقرونة بالحزن فقالت له انك تخفي عني شيئاً ياروفائيل
وقد رأيت انك اسرعت في الاقتران بي في وقت حرج فهل لك ان توضح
لي السبب فصعد وقال تعلمين يا لويزه ان البرتو سافر الى ايطاليا كي يحاكم
ولما كان يمر في قدر محبتي لك وكان يلح علي بالزواج بك فاني اردت ان

انفذ ارادته حتى اذا نقلتها اليه تكون له كاعظم تعزية قالت يالك من شقوق
وصديق صدوق يعرف كيف يبرهن على وده فتزداد منزلته علواً وهل
علمت ان حادثة الطبيب كانت عبرة هالت الاطباء والاهلين فجعلوا يسعون
في عدم وقوع مثلها في المستقبل قال هذا حال البشر فانهم لا يتعظون الا
بالمصائب فيهبون لتجنبها غير ان هذا كله لا يخفف حزني على صديقي اذ انني
اجهل مصيره قالت انه سيناله عقاب غير شديد لانه ارتكب الجرم وهو في
حالة تشفع له قال هذا الرأي السائد بيد ان لي من قربك اعظم سلوى
يا جوزفين فساأصرف حياتي معك ذا كرا البرتو حتى اذا عاد اكون اسعد
خلق الله طراً وان مات فاني اصلي لاجله في كل آن

